وجهة نظر مناقضة لذلك على طول الخط . وما حدث قبل عدوان ١٩٦٧ ، كررته الصهيونية من قبل عدة مرات ، وكانت في كل مرة تتداول نفس التعبير المصكوك والجاهز تقريبا . فقد صار سلاحا مجربا .

اذن ، فلنلق نظرة على مجهودات الصهيونية في صياغتها ونشرها لهذا التعبير الذي يمكن ان يكون الصهيونيون قد صاغوه ، ورددوه بعض العرب بشكل ببغاوي ، وبحسن نية !

العودة بالبحر تتحول الى القذف في لجته !

من المثير للاهتمام والتساؤل ان عبارة «العرب يريدون القاء اليهود في البحر » عبارة متكررة ، وتتردد عبر فترة تاريخية طويلة . فهي ليست وليدة «الهجمة الدعائية» الصهيونية ــ الاسرائيلية التي سبقت عدوان حزيران (يونيو) ومهدت له . فهي أقدم من ذلك بكثير ، ويتداولها الصهيونيون مفكرين وزعماء سياسيين ورجال دعاية منذ كان شعار العرب وبعد أهم في موقفهم من « اليهود » من ابناء البلاد هو « لهم ما لنا وعليهم ما علينا ».

لنحاول ــ قدر الجهد والطاقة ــ أن نستقصي متى واين بدأ هذا التعبير في الظهور بواسطة الصهيونيين . ولنلاحظ مقدما انه مما يدعو الى الاسترابة فعلا وحقا ويدعو الى الشك القريب من اليقين في كون الصهاينة هم الذين صاغوا هذا التعبير ونشروه ، مما يدعو الى ذلك ان هذه العبارة « جاهزة » دائما لدى الصهاينة يستخدمونه ويشرعونه كلما هب العرب يقاومون الاجتياح الصهيوني لديارهم ووطنهم . وسنرى كيف يلح الصهاينة بشكل ملفت للنظر على هذه القضية ، يقدمونها وكأنها احدى المسلمات التي لا تقبل أي نقاش .

أول مرة نقع فيها على استخدام الصهاينة لهذا التعبير كان في عام ١٩٢١ . ومن المحتمل ان تكون هناك سوابق أقدم من ذلك تاريخيا لم تقع تحت يدي . في حدود المعلومات التي أمكن تحصيلها ، كانت المرة الاولى التي ظهر فيها هذا التعبير هي خطاب ارسلته « شانا ــ أخت جولدا مائير ــ الى زوجها « سام » وهي في الطريق الى الاسكندرية عبورا الى فلسطين . تقول شانا لزوجها :(٣٩) « ذهب بعضنا لمعرفة ميعاد مغادرة السفن للميناء حتى نتمكن من السفر . وعادوا بهذا التقرير : يبدو انه ليس بوسعنا التقدم اكثر من ذلك . انهم لا يبيعون تذاكر سفر . وقد حصلنا على جواب مضحك من الشركات ، وهو جواب يستحق ان يضحك عليه المرء ، اذ قالوا : بوسع المسيحيين والمسلمين فقط الذهاب الى فلسطين ، ولكن ليس في استطاعتهم بيع تذاكر لليهود . انهم يفعلون هذا لمصلحتنا ، لان العرب يقذفون باليهود الى البحر . وهكذا واجهتنا هذه النكتة المحزنة ، فليس بمقدور اي يهودي دخول اسرائيل » .

والملاحظ ، أن العبارة تساق هنا وكأنها تعبير عن حقيقة واقعة . فهي لا تقول مثلا ان العرب يهددون ، او يرغبون ، في القاء اليهود في البحر ، وانما تقول انهم يفعلون ذلك . فهل كان هذا يحدث حقا في فلسطين عندئذ ؟. لم يقل أحد بهذا ، ولم يعرف احد أن العرب في تلك الايام ــ على الاقل ــ القوا بيهودي واحد الى البحر ، وانما كانوا يتحدثوا ــ كما رأينا ــ عن الاخوة والمساواة في الحقوق والواجبات ، وكانت معارضتهم واحتجاجاتهم تتركز على استنكار تدفق المهاجرين الصهاينة الى فلسطين .

ويبدو ان العقل الدعائي الصهيوني وجد ان الادعاء بأن العرب «يقذفون باليهود في البحر» ادعاء غير سهل التصديق ، لانه غير واقعي . اذن فلتكن صياغة الادعاء بشكل اخر « العرب يهددون بالقاء اليهود في البحر » . وهذه عبارة ادعى للتصديق، واكثر تحقيقا للفوائد المطلوبة ، فهي تستثير العطف على قوم مهددين بالالقاء في البحر ، واكثر قابلية لان تعيش فترة اطول ، تتردد خلالها ، وتبرز حين يكون الصهاينة في حاجة الى ذلك ، ثم انها مع الترديد والتكرار ستصير فكرة مقبولة ومسلما بها .

وهذا ما جرى تطبيقه بالفعل . فما ان جاءت هبة البراق عام ١٩٢٩ ، حتى كانت هذه العبارة تسري وتنتشر في العالم كله تقريبا . فقد كرست وسائل الدعاية الصهيونية الواسعة الانتشار نفسها في ذلك العام لتزييف حقائق الموقف في فلسطين تزييفا مروعا . وكانت الصهيونية قد أعدت نفسها لشن هذه الحرب الدعائية ، حتى انه تم خلال سنة ١٩٢٨/٢٩ ، اصدار ٦٥ صحيفة صهيونية جديدة في ١٩ بلدا(٤٠)، وتدفق سيل من الكتب والكتابات الصهيونية عن القدس وعن